حرية الوصول للمعلومات

قضايا أخلاقية للمكتبيين في عصر الإنترنت(*)

تأليف

إرينا تروشينا

مساعد نائب المدير لشئون البحث

المكتبة الوطنية الروسية

ترجمة

د. محمد إبراهيم حسن محمد

قسم المكتبات والوثائق والمعلومات

كلية الآداب – جامعة المنيا

ملخص :

تعتمد المكتبات على اعتبارات أخلاقية أكثر من أى مؤسسة أخرى ذلك أن خدمات المكتبات متطلبات أساسية للإنسان . وتُصاغ غالبية المبادئ الأخلاقية للمكتبين فى صورة دستور أخلاقى مهنى . وفى الوقت الراهن يعكس كل دستور من هذه الدساتير الأيدلوجية الوطنية لخدمات المكتبات والإطار الفكرى الذى تعمل فى كنفه . ويشير التحليل المقارن للدساتير الأخلاقية التى توفرت عليها المكتبات الوطنية إلى اعتبار مبدأ الحرية الفكرية الركيزة المفتاحية والقيمة الأخلاقية السامية التى يرتكز عليها تقديم الخدمات المكتبية . فمع الانتشار المطرد لاستخدام الإنترنت فى المكتبات ومرافق المعلومات اعترى هذا المبدأ مشكلات خطيرة واكتنفه قضايا شائكة . أن التقنية الحالية للكم الهائل من المعلومات لهو مستوى جديد غير مسبوق من الأنشطة الرقابية ، التى تتضمن الرقابة غير المُسماة واقتلاع حق المستفيد فى التواصل مع الإنترنت من جذوره . ويجب على المكتبيين اعتناق مبدأ الحرية الفكرى ويعزو ذلك إلى أن المكتبات هى مؤسسات إنسانية ، ومن ثم فإن المكتبيين يقع على عاتقهم واجبات أدبية وأخلاقية تجاه المستفيدين من الخدمات التى يقدمونها . تناقش هذه الورقة القضايا الأخلاقية المرتبطة بالتعامل مع الإنترنت من ناحية ، والعلاقة الإرتباطية بين التشريعات المهنية ومدى تأثيرها على ممارسات المكتبات .

مقدمة :

يُعرف مشروع لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير المنبثقة من الاتحاد الدولى لجمعيات المكتبات ومعاهدها International Federation of Library Association and Institutions Committee on Free Access to Information and

(*) Trushina, Irina. Freedom of Acess: Ethical Dilemmas for Internet librarians. The Electronic Library. Vol. 22, No. 5 (Nov. 2004). pp. 416-420.

الخاص Freedon of Expression (Ifla/Faife) بأخلاقيات مهنة المكتبات[1] على نطاق واسع كأحد أهم المشروعات التى توفرت عليها الإفلا للدفاع عن حقوق الإنسان التى حددتها المادة ١٩ من الميثاق العالمى للأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان .

ويتيح موقع لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير على شبكة النسيج العنكبوتى (الويب) الدساتير الأخلاقية التى صاغتها جمعيات واتحادات المكتبات فى ٣٠ دولة من مختلف أنحاء العالم[2] . ونظراً لأن لكل دولة قضاياها الخاصة وأولوياتها المختلفة التى تحظى بالاهتمام أكثر من غيرها ؛ تحتاج بعض نصوص تلك الدساتير إلى التعليق والتحليل ، ومن ثم كان ذلك مصدر إلهام للبروفيسور ر. فأجان R. Vaagan الذى يعمل بجامعة أوسلو والمتخصص فى موضوع أخلاقيات مهنة المكتبات، الأمر الذى دفعه للقيام بعمل دراسة مسحية على المستوى الدولى فى هذا الموضوع . استهدف هذا المشروع وصف الظروف الراهنة وتحديد القضايا المفتاحية فى مجال أخلاقيات المكتبات والمعلومات فى دول مختلفة على ضوء ركائز مجتمع المعلومات . وشارك فى هذا المشروع كل من المكتبيين والمهنيين وعلماء المكتبات ، ونشرت النتائج فى كتاب توفر على تحديد محتوياته د. روبرت فأجان بعنوان: أخلاقيات مهنة المكتبات : دراسة مسحية دولية[3] .

ربما تحتاج مهنة المكتبات إلى ميثاق للمبادئ الأخلاقية أكثر من أية مهنة أخرى . إن المكتبات كمؤسسات يلجأ إليها الأفراد ويتعاملون معها بكثافة يجب أن تكون مطبقة للقواعد القانونية والأخلاقية معاً ، لأنه ما من مجتمع يمكن له أن يتجاهل دور المكتبة وما تقدمه من أنشطة . ويعتبر التشريعات الأخلاقية والسلوكية أكثر لوائح المكتبات ومرافق المعلومات إثارة للجدل لا سيّما عند السعى إلى نشرها .

على أية حال ، تعد الدساتير الأخلاقية للمكتبيين ظاهرة حديثة نوعاً ما خاصة إذا ما قورنت بقسم أبقراط ذلك التشريع الأكثر شيوعاً لأخلاقيات مهنة الطب منذ العصور القديمة. ومعظم هذه الدساتير المكتبية صيغت فى أواخر القرن العشرين . وكما يوضح الجدول رقم (١) ، صدر أحد هذه الدساتير الأخلاقية (الأمريكى) فى عام ١٩٣٨ ، وصدر الدستور الثانى (الكندى) فى عام ١٩٦٦ . وصدر فى السبعينات من القرن العشرين دستوران ، وصدر فى الثمانينات من نفس القرن ثلاثة دساتير . وصدرت غالبية الدساتير (١٧) فى الستينيات من القرن العشرين . وصدر خلال الفترة من عام ٢٠٠٠ حتى ٢٠٠٤ أربعة دساتير فقط . ويعتبر دستور الجمعية الأمريكية للمكتبات هو أول تشريع أخلاقى لمهنة المكتبات حيث صدر فى عام ١٩٣٨ ، كما يعتبر الدستور الأرمينى والفرنسى الذى توفر عليهما جمعية المكتبات فى كلتا الدولتين هما الأحداث على الأطلاق وصدرا خلال عام ٢٠٠٣ .

وكما يقودنا البحث فى تاريخ صياغة الدساتير الأخلاقية فى دولة مختلفة من جميع أنحاء العالم والذى قمنا بإعداده عام ٢٠٠٣ إلى أن الدساتير الأخلاقية تتطلب حداً أدنى لنمو المهنة ونضجها

(1) FAIFE: *www.ifla.orgt/* faife.

(2) FAIFE codc of ethics: *www.ifla.org* / faife/ ethics / code. htm.

(3) Vaagan, R. Thc Ethics of Librarianship: An International Survey Munich: K. G. Saur, 2002.

وما تلقاه من دعم . وتقدم مثل هذه التشريعات الأسس التى تضبط الإتجاهات القيمية والمبادئ الأخلاقية التى تؤثر فى السلوكيات المهنية التى قد تمليها بعض المواقف التى لا يمكن تطبيق المعايير الاجتماعية خلالها .

جدول رقم (١)

دساتير الأخلاق المكتبية فى دول العالم حسب سنوات الإجازة

مسلسل	السنة	الدولة
١	١٩٣٨	الولايات المتحدة
٢	١٩٦٦	كندا
٣	١٩٧٤	كوستاريكا
٤	١٩٧٧	تايلاند
٥	١٩٨٠	اليابان
٦	١٩٨٣	المملكة المتحدة
٧	١٩٨٦	استراليا
٨	١٩٩١	المكسيك
٩	١٩٩١	جاميكا
١٠	١٩٩٢	الفلبين
١١	١٩٩٢	كرواتيا
١٢	١٩٩٣	هولندا
١٣	١٩٩٥	هونج كونج
١٤	١٩٩٥	سلوفانيا
١٥	١٩٩٦	ايسلندا
١٦	١٩٩٦	أوكرانيا
١٧	١٩٩٧	ايطاليا
١٨	١٩٩٧	كوريا
١٩	١٩٩٧	السويد
٢٠	١٩٩٧	سريلانكا
٢١	١٩٩٨	سويسرا
٢٢	١٩٩٨	ليتوانيا
٢٣	١٩٩٩	البرتغال
٢٤	١٩٩٩	روسيا
٢٥	٢٠٠١	استونيا
٢٦	٢٠٠٢	النرويج
٢٧	٢٠٠٣	أرمينيا
٢٨	٢٠٠٣	فرنسا

obeikandl.com

ويقدم كل دستور من هذه الدساتير – مهما بلغ قصره – شيئا ما يفوق مجموعة المعايير السلوكية التى تحكم المهنة . ففى الحقيقة ، يقدم التشريع إطار عمل للقيم المهنية ، النموذج الفكرى Paraddigm الذى يهدف إلى تنمية المكتبة الوطنية وتطويرها فى كل دولة على حدة . وعمد الدستور إلى توصيف الأهداف من وراء تقدم الخدمات المكتبية ، والمبادئ التى تحكم العلاقة بين المكتبيين والمستفيدين من جهة وبين المكتبيين أنفسهم من جهة أخرى ، والعلاقة بين المكتبات والمؤسسات الحكومية المختلفة ، والمهام التى يجب أن تبذل تجاه الحفاظ على التراث الثقافى ، وتدفق المعلومات ، واستخدام الانترنت والموضوعات الأخرى ذات الصلة .

أهمية التشريعات الأخلاقية للأنشطة المكتبية :

توصى الوثيقة التى اعتمدتها الإفلا عام ١٩٩٩[٤] كدليل إرشادى للجمعيات المهنية والخاص بـ «تطوير سياسات وإجراءات جمعيات المكتبات» بأنها فى مرحلة لاحقة يجب أن تقوم كل جمعية مكتبات بإصدار دستور للأخلاقيات والسلوكيات بحيث يكون له مواده المستقلة وقواعده المنفصلة ، وهذه التوصيات تسير على النحو التالى :

فى الواقع ، إن دستور السلوكيات هو بمثابة التعليمات التى توضح للمجتمع والحكومة أهمية المهنة والمسئوليات التى تقع على عاتق العاملين بها .

وبناء على ذلك ينبغى على الدستور أن يعمل على تحقيق الأهداف التالية :

* حث الأعضاء على الامتثال لقواعد الجمعيات وقوانينها .

* تعليم الأعضاء ضرورة الاستجابة للقوانين والسياسات الوطنية وعدم الانخراط فى أى نشاط من شأنه الإساءة إلى سمعة المهنة .

* تشجيع الأعضاء على صياغة المعايير التى تضبط كافة الأنشطة المكتبية ، والإطلاع على التطورات الحديثة فى التخصص ، وتحمل المسئولية تجاه تدريب وتأهيل زملاء المهنة الجدد .

فى نهاية عام ٢٠٠٣ ، أُجرى تحليل مقارن للدساتير الأخلاقية التى أجازتها واعتمدتها الجمعيات والاتحادات المهنية فى ٣٤ دولة : أرمينيا، وأستراليا ، وكندا ، وشيلى ، والصين ، وكوستاريكا ، وكرواتيا ، وإستونيا ، وفرنسا ، وأيسلندة ، وأندونسيا ، وإسرائيل ، وإيطاليا ، وجاميكا ، واليابان ، وكوريا ، وليتوانيا ، وماليزيا ، والمكسيك ، وهولندا ، ونيوزيلندا ، والنرويج ، والفليبين ، والبرتغال ، وروسيا ، وسنغافورة ، وسلوفانيا ، وسريلانكا ، والسويد ، وسويسرا ، وتايلاند ، وأوكرانيا ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة . وانتهى التحليل إلى نتيجة مؤداها أنه رغم التفاوت والاختلاف فى التقاليد الثقافية والاتجاهات

(4) International Federation of Libnrary Associations and Institutions. Management of Library Associations Section: Developing. Policies and Procedures for Library Association. Available at: *www.ifla.org.* / VII / s4O / Pub / devpol _ e. htm.

التنموية التى لا يمكن تجاهلها بأية حال من الأحوال فى الدول التى شملها التحليل ، فقد كان هناك قاسم مشترك من المسلمات الأخلاقية فى جميع دساتير الجمعيات الوطنية للمكتبات. ومن بين هذه المبادئ المشتركة مبدآن أساسيان هما : حرية الوصول للمعلومات ، وسرية معلومات المستفيدين الخاصة ، حيث أقرت ٣١ دولة من إجمال ٣٤ مبدأ الحرية الفكرية بينما بلغ عدد الدول التى أقرت مبدأ خصوصية معلومات المستفيدين ٣٢ دولة .

لقد اعتبرت حرية الوصول للمعلومات فى معظم الدساتير هـدفاً أساسيا لجميع الأنشطة المكتبية ، كما هو الحال بالنسبة لاختصاصى المكتبات فى إسرائيل حيث «ينتمى المكتبيون لتلك المهنة التى ترتبط بالحرية الفكرية المبنية على مبدأ حرية الوصول للمعلومات ، والتى تلتزم بدعم الفنون والعلوم واضعة فى الاعتبار حقوق العامة وحقوق المؤسسات التعليمية»(٥) .

«إن اختصاصى المعلومات فى البرتغال هم المدافعون (الأقوياء) عن حرية الوصول للمعلومات ويبذلون من أجل ذلك قصارى جهدهم للتأكيد على أن هذا الاتجاه تم اختياره بواسطة أناس دائمى اليقظة والانتباه لصد أى هجوم محتمل من قبل أى شكل من أشكال الرقابة» ، كما «يعمدون إلى عدم السماح لآرائهم بالتدخل أو التعرض لحرية الوصول للمعلومات» ، وهذا ما يوضحه الدستور الأخلاقى لاختصاصى المعلومات فى البرتغال(٦) .

وتنظر الجمعية الكندية للمكتبات إلى مبدأ حرية وصول كل الأفراد للمعلومات على أنه محور فلسفة مهنة المكتبات وجزء مكمل لأخلاقياتها ، ويعكس ذلك ما ورد فى تقرير الحرية الفكرية الذى اضطلعوا بإعداده حيث يذكر أن «المكتبات يقع على عاتقها مسئولية إتاحة حق حرية التعبير من خلال توفير كل التسهيلات والخدمات المكتبية التى يحتاج إليها كل الأفراد والجماعات داخل المجتمع»(٧) .

وصرح أيضاً واضعوا دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصى المعلومات فى روسيا فى عام ١٩٩٩ بأن اختصاصى المكتبات «عليه أن يوفر قدراً عالياً من الجودة ، والراحة ، والإتاحة ، والتنوع فيما يقدم من خدمات من خلال الاستخدام الفعّال لمصادر المعلومات المقتناة فى مكتبة وكذا المقتناة فى المكتبات الأخريات»(٨) .

التمسك بمبدأ الإتاحة العالمية للمعلومات :

على الجانب الآخر ، يسير التشبث المطلق بمبدأ الإتاحة العالمية للمعلومات جنباً إلى جنب وبالتوازى مع عمليتى التنقية والحجب Filtering & Blocking التى تمارس على مصادر الإنترنت . إن الهدف الذى ندافع عنه بقوة هو الحق فى الوصول الحر لمصادر النسيج العنكبوتى (الويب) ، وفى المقابل تنشأ أعداد متزايدة من «المرشحات Fil-ters » الأكثر تعقيداً ، و«البوابات Gateways »

(5) *www.ifla.org* / faife / ethics / iclcode. htm.
(6) *www.ifla.org* / faife / ethics / bad code. htm.
(7) *www.ifla.org* / faife / ethics / cla code. htm.
(8) *www.ifla.org* / faife / ethics / ru code. htm.

الأكثر تقييداً للوصول للمعلومات . ولعل ذلك يتشابه مع الموقف الجدلى والمناقشات الحماسية والمستمرة حول حقوق الإنسان وحريته فى ظل التزايد المطرد فى أعداد أبنية السجون . ومهما يكن من أمر ، يبدو ذلك كما لو كان القانون العام الذى يحكم المدنية ، بالإضافة إلى أن وسائل تنقية المعلومات وحجبها تعد مستوى جديداً غير مسبوق للرقابة . إن هذه الوسائل تجعل الرقابة المستمرة قادرة على انتهاك خصوصيات المعلومات السرية المتعلقة بالمستفيدين المتواصلين عبر الإنترنت ، وتتبع ما يمارسونه من أنشطة على الشبكة ، واستخدام ذلك كله لأغراض تجارية صرفة .

وفى هذا السياق ، يكتنف المكتبيون كموردين شرعيين للمعلومات عبر الإنترنت قدر من الإرتباك بسبب تناقض قيم التملك والمشاركة وعدم ثباتها فى ظل هذه البيئة الجديدة . وعلى الجانب الآخر ، يجب على المكتبات أن تحترم مبدأ الحرية الفكرية كما تحدد سياساتها . وفى واقع الأمر ، تنشد المكتبات منذ أن خرجت إلى حيز الوجود تحقيق هدف محدد ألا وهو حفظ المعلومات وإتاحتها . ومن ناحية أخرى ، تعتبر وظائف المكتبات هدفاً إنسانياً ومن ثم يقع على عاتق المكتبيين – مثلهم فى ذلك مثل الفيزيائيين والمدرسين وغيرهم – مسئولية أخلاقية تجاه المستفيدين المتعاملين معهم . ويعنى ذلك أن المكتبى عليه أن يحترم كلتا القيمتين : الأخلاقيات العامة ، والحياة الإنسانية .

فمن المعروف أن خدمات المعلومات ترتكز على وتخضع لعدد من اللوائح والقوانين مثل : قوانين المكتبات ، القواعد الداخلية ، أدلة توصيف الوظائف ... إلخ . حيث تقدم إطار عمل وضوابط تحكم كل موقف أو عملية أو نشاط . ومع ذلك فلا يمكن لمثل هذه المعايير القانونية أن تعفى المكتبيين من مسئولية اتخاذ القرارات فى المواقف الأخلاقية الصعبة والحرجة التى تعتمد كلية على مفاهيمهم الفردية للخير والشر .

ويوضح بول سترجس Paul Struges الإتجاهات العملية لحرية إتاحة المعلومات فى تقريره الذى تقدم به المجلس الأوروبى فى اكتوبر ١٩٩٨ حيث ذكر خلاله أن «روبرت هوبتمان Robert Hauptman أجرى تجربة استكشافية . حيث قام بزيارة ١٣ مكتبة وطلب فى كل زيارة معلومات عن الخواص الكيميائية للبارود القابل للانفجار وفى كل مرة يوضح للمكتبيين أنه ينوى نسف منزل يقع فى ضاحية المدينة . وكانت نتيجة ذلك أن أجاب على طلبه كل مكتبى قام باستشارته دون توجيه أى تساؤل ، الأمر الذى دفعه للتعليق على ذلك قائلاً : «أن هؤلاء المكتبيين لم يتيقنوا من أى دليل يتجعلهم يتخذون قراراً أخلاقياً لمنعه من الحصول على المعلومات التى طلبها» ، وتؤكد تعليقات هوبتمان على أن المكتبيين أظهروا فى واقع الأمر إدراكا واضحاً تجاه الإلتزام الأخلاقى بحيث لم يتنصلوا منه[٩] .

فى عام ١٩٩٩ ، تم إجراء بحث مثير فى المكتبة الوطنية لبريانجا Buryatija (جزء من الاتحاد الروسى) ، والمكتبة لا مركزية العامة لمدينة أولان أود Ulan Ude (الاتحاد الروسي) . وزعت استبانة على

(9) Strugs, P. Freedom of Expression and the Communication Networks. CC Cul (1998) 18, Strasourg.

المكتبيين بهدف التعرف على آرائهم بشأن الدستور الأخلاقى الذى أجيز فى عام ١٩٩٩ على نحو يغطى جميع الأنشطة والخدمات المكتبية . وأظهرت النتائج أن ٧٣٪ من مفردات العينة يرون أن حرية إتاحة المعلومات هى التى تتيح تنمية القارئ فكرياً ، وأخلاقياً، من خلال تواصله مع الثقافة العالمية»، وأن حرية إتاحة المعلومات وثيقة الإرتباط بالمكتبات ومرافق المعلومات. وفى نفس الوقت أعرب المكتبيون الذين أُجريت عليهم الدراسة عن «استمرارهم فى تلبية احتياجات المستفيدين من المعلومات السلبية كتلك التى تتناول المنتحرين وأساليب الانتحار رغم ما يسببه لهم ذلك من ضيق شديد»[١٠] . ويمكن أن نعزو ذلك إلى عدم امتلاك هؤلاء المكتبيين للمبادئ الأخلاقية التى تتناول هذه المواقف مما يعكى بعض جوانب القصور فى الدستور الجديد .

تعقد المسألة الأخلاقية بعد أحداث ٩/١١:

من الواضح أن الموقف أصبح أكثر خطورة وتعقيداً منذ هذا التاريخ ، ويرجع ذلك إلى تفاقم المشكلات السياسية المعاصرة . ومما لا شك فيه أن النموذج المثالى الذى يجب أن تكون عليه الخدمات المكتبية تأثر إلى حد بعيد بتلك المتناقضات التى خلفتها هذه المشكلات ، فعلى سبيل المثال ، تتعرض المكتبات العامة فى الولايات المتحدة لتحديات صعبة فى أعقاب كارثة ٩/١١ .

وهذا ما كشفت عنه المناقشات أثناء المؤتمر الدولى التاسع «كريميا ٢٠٠٢» فى يونيو عام ٢٠٠٢ المنعقد فى سوادك Sudak ، حول الجوانب الأخلاقية للإمداد بالمعلومات وثيقة الصلة بأنشطة الأرهاب الأساسية من ناحية ، واستفسار مكتب التحقيقيات الفيدرالية FBI عن طلبات القراء المترددين على بعض المكتبات الرئيسية حول أنشطة الإرهاب من ناحية أخرى[١١] .

وتبين المعلومات المثيرة التى انطوى عليها تقرير اختصاصيى المكتبات بجامعة ولاية سان جوز San Jose State University الأوقات العصيبة التى عاشوها عقب ٩/١١ ، حيث تلقوا استفسارات وتساؤلات عديدة عن اهتمامات معلوماتية بعينها لعدد محدد من المستفيدين من المكتبة المركزية بالجامعة . على أية حال ، استمسك المكتبيون العصريون بمبدأ حماية الخصوصية معتبرين طلبات المستفيدين شيئاً مقدساً لا يقل أهمية عن حقوقهم فى الوصول للمعلومات . تنص الفقرة ٣ من الدستور الأخلاقى للجمعية الأمريكية للمكتبات على أن «يقوم اختصاصيو المكتبات والمعلومات بحماية كافة حقوق المستفيدين من المكتبات من خلال احترام الخصوصية وحماية سرية المعلومات التى يسعون للوصول إليها أو تلك التى يحصلون عليها ، وكذلك حماية سرية المصادر التى يقومون باستشارتها أو استعارتها أو اقتنائها أو تداولها[١٢] . واستناداً إلى ذلك فقط قام المكتبيون بتجاهل استفسارات مكتب التحقيقات الفيدرالية .

(10) Eova, S. A. "Kodeks Professional'noj etiki rossiiskogo bibliotekarya prinat, no obsugdenie prodolgaetsyya ".*Nau chine i technicheske.* No. 10 (2002).p. 94.

(11) 9th International Conference "Crimea 2002", Suduk, Crimea, 8-16 June 2002. Available at: *www.gpntb.ru* / win/ inter - events / Crimea 2002 / eng / confer 1. htm.

(12) FAIFE: *www.ifla.org* / faife.

ولأن اختصاصيى المكتبات الأمريكيين يتميزون باتجاهاتهم المهنية الأكثر تشدداً فى التمسك بديمقراطية تداول المعلومات وما يتصل بها من حريات ؛ تقدم كل من الجمعية الأمريكية للمكتبات American Library Association (AIA) ، والاتحاد الأمريكى للحرية المدنية The American Civil Liberties union (ACLU) بنقض لقانون آداب الاتصال الذى اعتمده الرئيس بيل كلينتون فى ١ فبراير ١٩٩٦ .

ومن المعروف جيداً أن المكتبات العامة الأمريكية تعرضت لتحد غير مسبوق يتمثل فى مواجهة القانون الوطنى Patriot Act الصادر فى ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١ ، ويكسب هذا القانون ، مكتب التحقيقات الفيدرالية الحق فى الإطلاع على سجلات المكتبات . ولا يخفى على أحد أن دولاً عديدة قد تأثرت بهذا القانون الأمريكى ، وتشمل قائمة هذه الدول : كندا ، الصين ، فرنسا، ألمانيا ، إندونيسيا ، الأردن ، باكستان ، السعودية ، أسبانيا ، أوغندا ، المملكة المتحدة ، زيمبابوى ، وغيرها من الدول التى صاغت تشريعات مماثلة[١٣] .

ونوقشت مثل هذه المشكلات المتعلقة بانتهاك حقوق المستفيدين من المكتبات والمتصلة بحماية سرية معلومات الأفراد فى المؤتمر السنوى للإفلا عامى ٢٠٠٢[١٤] ، و ٢٠٠٣[١٥] ، وأثناء المؤتمر الدولى العاشر «كريميات ٢٠٠٢» حول المعلومات الحكومية والديمقراطية ، وخلال الاجتماع الثاني لمجموعة الإفلا الخاصة بدول شرقي أوروبا حول المعلومات الحكومية وإتاحتها للجمهور العام[١٦] .

ومع أنه لا يوجد بروسيا حتى الآن مثل هذه القوانين المضادة للأنشطة الإرهابية التى من شأنها أن تحد من حرية وصول المستفيدين من المكتبات لمصادر الإنترنت ، إلا أن الموقف لم يعد يتسم بالهدوء أيضا . فيوجد فى روسيا حوالى ٥٠,٠٠٠ مكتبة عامة ، ومع ذلك لا يقدم من هذه المكتبات نقاط إتاحة للاتصال بالإنترنت سوى عدد محدود للغاية بسبب ضعف التمويل . وتمثل مكتبات القرى (الريفية) النسبة الغالبة حيث يبلغ عددها ٣٩,٠٠٠ ، ومازال أقصى ما يتمناه بعضها مجرد الحصول على خطوط تليفونية وليس كابلات الربط بالإنترنت . بيد أن معظم المكتبات الواقعة فى المدن الكبيرة أو المدن الصغيرة متصلة بشبكة الإنترنت بسبب ما تلقاه من تمويل الهيئات والمؤسسات المحلية لها . إن نمو الإنترنت فى روسيا يسير بالتوازى مع التزايد المطرد في إقامة التدابير التي تعمد إلي تقنية المعلومات المتاحة على الإنترنت فقد أصبح على المكتبيين أن يواجهوا مشكلة حقيقية –

(13) Sussman, L. & Deutch Karlekar, K. (Eds). The Annual Survey of Press Freedom, Freedom House, New York, Ny. Washington, DC, Belgrade, Bucharest, Kiev, Tashk ent, Warsaw. Available at: www. Freedomhouse. org / Pfs 2002. pdf.

(14) 68th IFLA General Conference. Glasgow, Scotland, 18-24 August 2002. Available at: www. ifla. org/ IV/ ifla 698/ index. Htm.

(15) 69th IFLA General Conference. Berlin, Germany, 1-9 August 2003. Available at: www. ifla. org/ IV/ ifla 698/ index. Htm.

(16) 10th International Conference "Crimea 2003", Sudak, Crimea, 7-15 June 2003. Available at: www. gpntb. ru/ win/ inter-events./crimea 2003/ eng/.

ألا وهى إتاحة الوصول العالمى والحر لمصادر المعلومات المستحدثة التى تنطوى عليها الإنترنت ، والتى تنص عليها القوانين واللوائح الدولية من ناحية، وحماية أخلاقيات القراء من فيضان «القاذورات» الذى يتطلب استخدام المرشحات . أضف إلى ذلك أن هؤلاء القائمين على إعداد وتصميم مرشحات الإنترنت فى المكتبات غالباً ما لا يدركون أنهم بذلك إنما يتحولون ليكونوا رقباءً جدداً . وبعيداً عن القانون الفيدرالى الروسى لمهنة المكتبات الصادر عام ١٩٩٤ ، ظهر دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصيس المكتبات الروسى فى عام ١٩٩٩[١٧] . ويزداد الموقف تعقداً بسبب كثرة المناقشات والبحوث فى الإنتاج الفكرى المهنى المنشور حول الموضوع .

ولا يخلو الأمر من بعض التطبيقات السلبية لمبادئ دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصيى المكتبات الروس عند إتاحة وصول المستفيدين لمصادر الإنترنت . ويتضح ذلك من المقابلات الشخصية القصيرة عبر البريد الإلكترونى مع ٢٥ اختصاصيى مكتبات ممن يعملون بالمكتبات الإقليمية الروسية على اختلاف أنواعها (عامة ، بحثية ، ... إلخ) خلال شهرى يناير وفبراير ٢٠٠٢[١٨] . وتقوم فكرة الإستبانة على استطلاع رأى مجتمع المكتبات حول موضوع تنقية مصادر الإنترنت . وانتهى البحث إلى وجود فجوة واضحة بين الدور الذى عبر عنه دستور الأخلاقيات المهنية لاختصاصى المكتبات الروس بعبارة «ينبغى أن يُنظر إلى حرية إتاحة المعلومات على أنها حتى من حقوق الأفراد التى لا تتجزأ»[١٩] ، وبين ممارسات المكتبات لإتاحة المصادر على الويب .

ولعل هذا ما يكشف عنه واقع المكتبات العامة الروسية التى داومت على إقامة المرشحات لحجب المواد الإباحية ، ومنع التراسل المعتمد على البريد الإلكترونى عبر الأنترنت . إن توجهات المكتبات العامة نحو استخدام الإنترنت غير مرضية حتى وإن نحينا مشكلات نقص التمويل جانباً . فعلى سبيل المثال ، كيف يتسنى لاختصاصى المكتبات العصرى أن يرفض طلباً لمستفيد يرغب فى الإطلاع على كتب أو دورية متخصصة فى «الجنس» (مثل غالبية قصص الحب الشهيرة) ؟ إن اهتمام المكتبات البحثية بتلبية حاجات المستفيدين ودعم بحوثهم يتفاوت حسب مدى ارتباط المعلومات المطلوبة بالتخصص الذى تخدمه هذه المكتبات . وهكذا فإن المكتبة البحثية لجامعة ولاية كراسنويارسك Krasnoyarsk الروسية تصنقف الألعاب ، وصفحات الويب الشخصية ... إلخ كمواد لا تدخل فى «دائرة الاهتمامات» التى تخدمها ، ومن ثم لا يسمح للمستفيدين» باستنساخ أو طبع محتويات المواد الإباحية»[٢٠] .

وفى هذا الصدد ، يشير الدليل الارشادى لسياسة الثقافة الأوروبية الذى أعده المجلس الأوروبى

(17) www. ifla. org/ faife/ ethics/ rucode. htm.

(18) Trushina, I. A. Ethica i electrinnij mir, *Biblioteka*. No. 9 (2002) pp. 6-9.

(19) Firsov, V. R. & Trushina, I. A. Bibliotechnaja Etika V Stranah Mira. St Petersburg: National Library of Russia, 2002.

(20) Krasnoyarsk State University Resarch Library (Russia), http://res. Krasu.ru/Nbkgu/CPI/Index. Php3? rules.

عام ٢٠٠٠ و المعنيّ بالسياسات التى تحكم وتنظم إتاحة المؤسسات المتخصصة للإنترنت ، حيث يذكر «أنه من الضرورة بمكان إعداد المؤسسات المتخصصة سياسات توضح وتحدد مستويات الإتاحة المسموح بها والتى تتناسب مع أهداف هذه المؤسسات وخططها ... وينبغى أن يكون المستفيدون على دراية بمثل هذه القيود من خلال استعراض بنود تلك السياسات»[٢١] . هذا فيما يتعلق بالمؤسسات المتخصصة ، أما إذا تطرقنا للحديث عن المكتبات العامة التى تضع فى مقدمة أولوياتها واهتماماتها الإتاحة الحرة لكافة مصادرها ، لابد وأن الأمر سيختلف نوعاً ما .

إن القواعد المنظمة لاستخدام الإنترنت التى صاغتها مكتبة ولاية أ. م. جوركى بريمورسكاجا العامة A. M. Gorky Primorskja State Public Library (روسيا) تحذر ممارسة الأنشطة التالية أثناء إجراء المحادثات عبر الإنترنت Chatting : زيارة المواقع الجنسية المثيرة للشهوات ، والمواقع الدعائية . ويتناقض ذلك مع المهمة الرئيسة التى ينبغى أن تضطلع بها المكتبات العامة ألا وهى عدم إعاقة الإتاحة العالمية للمعلومات[٢٢] .

كما أن المكتبة العالمية لإقليم تفر Tver (روسيا) لا تسمح للمستفيدين من خدماتها لا بالدخول على المواقع الجنسية ، ولا بالتحادث عبر الإنترنت ، ولا حتى باستخدام الأنواع المختلفة من خدمات البريد الإلكترونى بما فى ذلك خدمة Hotmail . ويرجع دافع ذلك إلى «أن مكتبتنا إنما هى مكتبة عامة يتردد عليها الجميع صغاراً وكباراً ، ولا تزال خدمات الإنترنت تقدم بصورة مجانية . وإذا فتحنا قاعة الإنترنت فى المكتبة لكل شخص يرغب فى التراسل ، فلن يكون هناك وقتاً كافياً للقراء . إن مقاهى الإنترنت التى تقدم خدمات الإنترنت بأسعار متفاوتة تتراوح بين ١٥ و ٢٥ روبل منتشرة فى جميع أرجاء الإقليم ، ومن ثم فإنه على ما يبتغى القيام بهذه الأنشطة (المراسلة) التماسها هناك ، وفى الوقت ذاته نضطلع نحن بتتبع الأساليب الفعالة لتصميم قاعات القراءة الإلكترونية[٢٣] .

ويكمن الدافع وراء استخدام المرشحات Filters فى المواقع التى تتيح استخدام الإنترنت داخل المكتبات فى كثير من الأحيان إلى التزاحم الشديد . فعلى سبيل المثال ، ينهج مدير إدارة النظم فى المكتبة الوطنية الروسية هذا الأسلوب وهو الاعتماد على استخدام المرشحات حيث أن هذا هو الأسلوب الأكثر استخداماً من قبل المكتبات والمستخدمين المعتمدين لخدمات بروكسى Proxy الشهيرة» ، فعندما يتم الولوج إلى أحد المواقع الجنسية ، تتحول المواد لتصبح أكبر حجماً الأمر الذى يستدعى القائمين على الخدمة باتخاذ الإجراءات اللازمة» ، كما يدخل الإعلانات التى تظهر أثناء تصفح المواقع عبر أنحاء العالم أيضاً ضمن قائمة المواد التى ينبغى حجبها»[٢٤] . وتعتبر معظم المكتبات عملية

(21) Council of Europe. Public Access and Freedom of Expression in Cultural Institutions: Guidelines for European Cultural Policy, DECS / CULT/ NTI/ libex (2002) 2.strsbourg, 8 June.

(22) Trushina, I. A. Op. Cit.

(23) Loc. Cit.

(24) Loc. Cit.

حذر إتاحة الوصول للمواقع ذات الطابع الجنسى مهمة اساسية تقع على عاتقها لحماية القراء من التأثير السلبى لبعض مصادر الإنترنت ، حيث توجد مغريات عديدة تؤدى بصاحبها إلى الوقوع فى «براثن الخداع» بكل ما تحمله الكلمة من معانى[٢٥] .

وبعد مرور خمسة أعوام من تاريخ إجازة الدستور الروسى لأخلاقيات المكتبات ، اتخذ القرار بشأن مناقشة اتجاهات تطوير أثناء المؤتمر السنوى للجمعية الروسية للمكتبات[٢٦] المنعقد فى مايو ٢٠٠٤ فى نوفوسيبيرسك Novosibirsk (سيبريا ، روسيا) خلال المائدة المستديرة حول أخلاقيات المكتبات والعلاقات المهنية . لقد كان واضحاً ، بما لا يدعو مجالاً لشك أن الوثيقة الحالية لا تقدم مبادئ أخلاقية كافية بالشكل الذى يلائم رؤية اختصاصيى المكتبات فى روسيا ، ومن ثم فهو يحتاج إلى التحديث وإجراء بعض التعديلات .

كانت أكثر القضايا الساخنة المتصلة بموضوع الإتاحة العالمية والحرة لمصادر المعلومات المتاحة عبر الإنترنت هى تلك المرتبطة بالتأثير «التخريبى» للمصادر التى يعتبرها الرأى العام مثيرة للجدل على العقول الصغيرة (الأطفال والنشء) . ويشعر عدد قليل جداً من المكتبيين بالرضى عند مساعدة المراهقين فى إيجاد بعض مصادر الويب التى تتناول تفاصيل قصص الحب أو الموت الرومانسى . ومما لا شك فيه أن غالبية الأفراد الذين لديهم أطفال سوف يتفقون مع ذلك الإتجاه .

لقد حظى الموضوع بأهمية خاصة فى مجال تقديم خدمات المعلومات للأطفال . وتجدر الإشاة هنا إلى استخدام المكتبات فى أيسلندا مرشحات الإنترنت فى مكتبات المدارس الإعدادية والثانوية على نطاق واسع . وهنا نتساءل هل يعتبر استخدام مرشحات الإنترنت هو الحل الأمثل ؟ وفى هذا السياق كتب عضو أيسلندا فى لجنة حرية إتاحة المعلومات وحرية التعبير المنبثقة من الإفلا FALFE ؛ سفافا هـ. Svava H. يقول : «أعتقد أن هذه المرشحات تساعد كلاً من الآباء، ومديرى المدارس ، واختصاصيى المكتبات فى التعرف على نوعية المعلومات التى يبحث عنها الأطفال والمراهقون على الإنترنت ، كما تمنع الأطفال من الوصول إلى المعلومات / الصور التى تؤدى إلى تدميرهم ... وفى المقابل فإن استخدام المرشحات لا يساعد المراهقين على تحمل المسئولية أثناء مرحلة المراهقة ، ذلك أنه يجعلهم غير قادرين على إصدار الأحكام النقدية التى تجعلهم يقولون «لا» لأي تقدم جنسى صارخ غير مرغوب فيه ، ويتفاعلون مع قصص الحب الرومانسية دون التعرض لأخطار التجربة والممارسة[٢٧] » .

هل يتضمن مبدأ الإتاحة الكونية للمعلومات التماسك المطلوب ؟

لقد انساق المجتمع الدولى نحو إدراك الأهمية الدولية التى تحققها الإتاحة الكونية للمعلومات فى النصف الثانى من القرن العشرين . وتزايد الوعى

(25) Bibliotheca. Glavnie Pravila bez Opasnosti. *Biblioteka*. No. 6 (2001). p. 26.

(26) Russian Library Association, www. rba.ru.

(27) Vaagan, R. Op. Cit.,

بأهمية المعلومات وما يرتبط بها من حقوق كفائدة عظمى ، وكحق من حقوق الإنسان الأساسية والطبيعية التى يكفلها الضمير العالمى ، كما كانت هذه القضايا محور اهتمام العديد من الوثائق الدولية التى أصدرتها الأمم المتحدة ، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ، والمجلس الأوروبى ، وعدد من المنظمات المهنية على المستوى الدولى والوطنى .

على الجانب الآخر من ذلك ، تسبب النمو المتزايد لإتاحة الوصول للمعلومات فى تصدى الحكومات والأجهزة الأمنية التى تنظر إلى شبكات المعلومات والاتصالات كما لو كانت أداء لتدمير أفكارهم ومفاهيمهم نحو المجتمع السوى إلى هذا المبدأ[٢٨] . وتتفاوت المجتمعات فى قبولها لمصادر الإنترنت ، فهناك من لا يستطيع قبول كل أنواع المصادر التى تتيحها الإنترنت ، بينما تستحسن مجتمعات أخرى كل المصادر المتاحة . إن المصادر التى غالباً ما تلقى معارضة هى تلك التى ترتبط بالجنس والمخدرات والتسلح والسياسة ، ومع ذلك فالإنترنت لا يمكن ضبطها والتحكم فى مصادرها بدرجة تحد من استخدام هذه القنوات . وفيما يتعلق بالآراء حول القيود المفروضة على إتاحة المعلومات فى المكتبات ومراكز المعلومات ، فإن تنقية المعلومات عادة ما تلقى قبولاً أقل فى المكتبات العامة كمؤسسات تعمل على بث المعلومات لعامة الشعب أكثر من أى نوع آخر من المكتبات . وتكاد تُجمع معظم تشريعات المكتبات على إن اختصاصيى المكتبات غير مسئول عن محتويات المعلومات التى يقدمها . ومهما يكن من أمر ، سيستمر الجدل حول الأخلاقيات المنصوص عليها فى الدساتير المهنية ، طالما أن مهنة المكتبات تعتمد وبدرجة كبيرة على السمات الفردية (الشخصية) لاختصاصيى المعلومات من حيث توجهاته السلوكية وقيمه الأخلاقية التى يعتنقها .

إن اتساع الفجوة فيما بين الدساتير النظرية ، والممارسات التطبيقية لها ، من شأنه أن يفقد هذه الدساتير الصبغة القانونية أو الشرعية ، وقد يؤدى ذلك إلى فقد المجتمع للثقة فى مهنة المكتبات . فعلى سبيل المثال ، هب أن هناك مكتبياً يحترم مبدأ الإتاحة الحرة والعالمية للمعلومات ، وعندما يطلب منه أحد المستفيدين الحصول على معلومات عن المواد شديدة الانفجار أو معلومات عن أساليب تجهيز القنابل اليدوية يفاجئ بأن قانون الحماية من أنشطة الإرهاب يحرم ذلك ، ما هو شعور المكتبى حينذاك ؟ هل سيشعره ذلك بالرضى عند تقييم مهنته ؟

ونشير هنا إلى حالة مختلفة ، فرغم أن الأحداث التاريخية لا يصدق عليها الأفعال الشرطية ، فقد شهدت المكتبة الوطنية الروسية الواقعة الآتية . أثناء إعداد بعض الصحفيين الفرنسيين فيلما تسجيلياً عن بطرسبرج وجّهوا تساؤلاتهم إلى س. ى. جرين C. I. Grin ؛ مؤرخ المكتبة الوطنية الروسية ، ومؤلف لعدد من الأعمال التى تتناول أشهر قراء المكتبة ؛ ف. ى . لينين V. I. Lenin قائلين : هل كان من الممكن أن

(28) Sturges, P. Internet, Svoboda vyrazhenija i mesta obshestvennogo dostupa. In: Isonzura v Rossii. *Istroija I Sovremennost*. St Petersburg: National Library of Russia. P. 233.

يقوم للثورة الروسية عام ١٩١٧ قائمة لو أن لينين لم يتيح له الوصول إلى قاعات القراءة فى مكتبتنا القومية الغنية بمصادرها .

خاتمة :

وختاماً ، توجد كلمات قلائل حول المؤتمر الدولى لمجتمع المعلومات الذى عُقد للمرة الأولى فى جنيف فى ديسمبر عام ٢٠٠٣ . كانت تلك هى المرة الأولى التى تناقش فيها قضايا المعلومات على مستوى رؤساء الدول . وتعبر الوثيقة الختامية للمؤتمر (ميثاق المبادئ)[٢٩] عن الأبعاد الأخلاقية لمجتمع المعلومات على النحو التالى : «ينبغى أن يحترم استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات حقوق الإنسان والحريات الأساسية للآخرين ، بما فى ذلك خصوصيات الأفراد ، والحق فى حرية التفكير ، والإدراك ، وحرية العقيدة ، كما ينبغى أن يخضع هذا الاستخدام للتعليمات الدولية ذات الصلة» . ولعل أهم هذه التعليمات كما رأينا هى مبدأ الحرية الفكرية ومبدأ احترام خصوصية المعلومات ، فهذه المبادئ الأخلاقية تخضع إلى التطوير المستمر فى جُل الدساتير الأخلاقية للمكتبيين المعروفة لدينا .

«وإذا نظرنا إلى الكتاب المقدس ، وذلك الكتاب الذى يضم بين طياته جميع الكتب ، نقرأ فى الصفحة الأولى لوصايا جون الجديدة Johns New Testament : «فى البدء كان الكلمة ...» ورغم تعاقب الأزمنة والعصور منذ تسجيل هذه السطور الخالدة ، بحيث أصبحت الأشياء على نحو مختلف عما كانت عليه فى الماضى ؛ إلا أن هذه المعانى لا زالت حقيقة واقعة . الأكثر من ذلك ، أنه فى السياق الحالى لمجتمع المعلومات وتكنولوجياتها المتقدمة لم تستقر هذه الحقيقة بعد فى الأذهان . إن المفاهيم التى يمكن أن تحملها «الكلمة» لم تختلف عن الماضى ، فلا يزال للكلمة القدرة على تحقيق الشىء ونقيضه : الابتكار والتدمير ؛ البناء والهدم .

❁ ❁ ❁

(29) World Summit on Information Society. Deceleration of Principles, WSIS - 03 / GENEVA/DOC/ 0004. Available at: *WWW. itu.int / wsis / documents* / dos_multi-en- 1161/1160. asp.

obeikandl.com